# مركز القبيلة والمهمَّش
## مسرحية عنترة ومجنون ليلى لأحمد شوقي نموذجًا

**الباحثة/ نها عبد الحكيم علي عبد الحكيم**
**معيدة بقسم البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن**
**كلية دار العلوم- جامعة المنيا**

**ملخص البحث:**

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن التهميش الذي نال بعض الفئات في المجتمع القبلي, وإظهار القهر/الظلم الذي توقعه القبيلة على بعض فئاتها؛ نتيجة تراتبية تقرها بين أفرادها, وتمسكها بقوانين تُحْرَم على إثر تطبيقها هذه الفئات من حقوق تراها مشروعة, وذلك من خلال تحليل الباحثة لمسرحية (عنترة) للشاعر أحمد شوقي؛ حيث يعاني البطل (عنترة) من التهميش؛ بوصفه عبدًا أسود ذا دم هجين, ينتمي إلى أقلية تنبذها الطبقة الأرستقراطية/طبقة الصرحاء/الملاك, فتضعه في أدنى الطبقات, ويُحْرَم النَّسَب, وبعد الاعتراف به ابنًا لشدَّاد تستمر معاناته, فلونه الأسود وصمة عار في مجتمع تحكمه طبقة البيض, وتنبذ أصحاب البشرة السوداء, وكذلك مسرحية مجنون ليلى؛ حيث يتخذ فيس اتجاهًا قيميًا يخالف النسق القيمي الذي يبجله المركز القبلي؛ فيقع عليه التهميش.

الكلمات المفتاحية: مركز, القبيلة, الهامش, الأقلية, عنترة, القيم, مسرحية, مجنون ليلى, أحمد شوقي.

## The center of the tribe and the marginalized
## The play Antara and Majnoun Laila by Ahmed Shawky as a model

**Research Summary:**

This study seeks to reveal the marginalization of some groups in the tribal society, and to show the oppression and injustice that the tribe inflicts on some of its groups; As a result of a hierarchy that it approves among its members, and its adherence to laws that deprive these groups of rights that they consider legitimate, through the application of these groups, through the researcher's analysis of the story (Antara) by the poet Ahmed Shawqi; Where the hero (Antarah) suffers from marginalization; As a black slave of hybrid blood, he belongs to a minority that the aristocracy rejects the outright class/angel class, and places him in the lowest classes, and prohibits lineage. Majnoun Laila play; Whereas Face takes a value trend that contradicts the value system venerated by the tribal center; He is marginalized.

Keywords: center, tribe, margin, minority, Antara, values, play, Majnoun Laila, Ahmed Shawky.

**مقدمة:**

فالقبيلة لم تكن على قدر واحد من التساوي اجتماعيًا واقتصاديًا، بل تُفرِّق بين أفرادها وفق قوانين اجتماعية متعارف عليها؛ فتفاضل بين أبنائها، ويتبوَّؤون منازل مختلفة. فثمَّة أكثرية بيضاء البشرة تحكم القبيلة وتسُن القوانين، وأقلية سوداء تخضع للقوانين قسرًا. والقبيلة لها قيم تقدِّسها، وتنبُذ من يخرج على نسقها القيمي؛ مخالفًا إياه؛ فالمركز القبلي له تشريعاته الداخلية، التي يُقدِّسُها ويُجَرِّم الخروج عليها، وهي "جماعة من أب واحد، تضم طوائف أصغر منها، كالشجرة تضم قبائلها، أي:أغصانها. فالقبيلة على تنوع طوائفها، كالشجرة المتنوعة الأغصان، تنتمي إلى جذر واحد.وقوام القبيلة العصبية التي تصون وحدتها، والأعراف التي يجب أن تُطاع والتي تحفظ شخصيتها وكرامتها.ورابطها الأساسي إذن هو الدم أو النسب"[1].

فثمَّة نسب ودم تقدِّسه القبيلة، وأعراف يجب أن تُطاع.

وتهدف هذه الدرسة إلى إظهار التهميش الذي يطال بعض الفئات التي تضعها القبيلة في أسفل سلمها الاجتماعي جورًا، وكذلك من يخالف نسقها القيمي. وقد عبّرأحمد شوقي عن معاناة هذه الفئات ضمن مسرحيتي (عنترة)، و(مجنون ليلى).

وتأتي هذه الدراسة في محورين؛ هما: الأقليات- القيم.

**الأقليات:**

ويعود مصطلح "الأقليات" إلى مادة (ق.ل.ل)، وقد جاء في "لسان العرب" عن أصل هذه المادة ما نصه:"القِلّة:خلاف الكثرة.والقُلُّ:خلاف الكُثْر، وقد قَلَّ يَقِلُّ قِلّة وقُلا، فهو قليل وقُلال وقَلال، بالفتح؛عن ابن جني.وقَلَّله وأقلَّه:جعله قليلًا،وقيل:قلَّله جعله قليلًا.وأقلَّ:أتى بقليل"[2].

أما من حيث الاصطلاح:فهومفهوم يتأبى على التعريف المحدد الثابت؛ ذلك لأن"الأقليات تختلف تبعًا لاختلاف المفاهيم التي تحكم إقصائها أو عزلتها، وتبعًا لعلاقاتها بالجماعات المسيطرة في المجتمع الذي تعيش بداخله، وأيضًا تبعًا لمدى استجاباتها للأوضاع القائمة في ذلك المجتمع.ولهذا، فإن

(١) أدونيس,كلام البدايات,دار الآداب,بيروت,الطبعة:الأولى,١٩٨٩,ص٥٩.

(٢) ابن منظور,لسان العرب,المجلد:الحادي عشر,ص٥٦٣.

دراسة الأقليات الإثنية تختلف عند دراساتها باختلاف أسباب إقصائها أو استبعادها نتيجة العرق، أو الدين،أو القومية، أو الثقافة"[1].

فالأقليات في المجتمعات ليست أقلية واحدة؛ بل أقليات مختلفة، وكل مجتمع له سياساته وأوضاعه التي تخصه دون مجتمع آخر، بل قد تجد أقلية دينية في مجتمع تُعامل بكيفية معينة، وهذه الأقلية ذاتها قد توجد في مجتمع آخر وتعامل بشكل مغاير لقرينتها في ذلك المجتمع،وقد تحصل على حقوقها في مجتمع وتُسْلبُها في مجتمع آخر،وقد تكون الأقلية في المجتمع هي التي تدير زمام الأمر فيه،وقد تكون مقهورة /مهمّشة في مجتمع آخر؛ إذن فلا يوجد تعريف واحد لمصطلح(الأقلية)،بل يختلف من مجتمع إلى آخر.والأمر يُطبَّق على مدى تهميش الأقلية من عدمه.

"ويرى لويس ويرث.L،Wirth، أن الأقلية هي جماعة من الناس تنفصل عن بقية أفراد المجتمع بصورة ما،نتيجة خصائص عضوية أوثقافية،تعيش في مجتمعها في ظل معاملة مختلفة غير متساوية مع بقية أفراد المجتمع.ومن ثم،ترى هذه الجماعة نفسها عرضة للتفرقة discrimination. وطبقًا لهذا الرأي فإن وجود أقلية في مجتمع ما يتضمن وجود جماعة مسيطرة- في المقابل- ذات وضع اجتماعي أعلى وامتيازات أكبر.كما تحمل أوضاع الأقلية معها – طبقًا لهذا الرأي- الحرمان من الاشتراك الكامل في حياة المجتمع"[2].

فالمجتمع ينقسم – وفقًا لهذا الرأي- إلى أكثرية وأقلية،والأكثرية تمثل المركز الذي يتحكم في كل شيء في المجتمع،والأقلية تسير تبعًا لقوانين يسنها المركز في حقها، فتُحرم مما يعطيه لنفسه من امتيازات، وتعيش الأقلية مهمَّشة وسط أكثرية حاكمة؛ نظرًا لاختلافها عن الأكثرية في الدين أو العرق أو غير ذلك.

والقبيلة مجتمع ينقسم إلى طبقات، وكل طبقة تختلف عن التي تليها في الامتيازات والحقوق؛ ف"بنية القبيلة هرمية..."[3]. وينقسم هذا المجتمع إلى ثلاث طبقات، تتفاوت فيما بينها في الحقوق والمنزلة، والطبقة التي تتبوَّأ أعلى منازل السلم الاجتماعي هي: طبقة الأحرار تليها طبقة الموالي ثم العبيد. وقانون القبيلة لا يُهمّش أبناء طبقة

(١) سميرة بحر,المدخل لدراسة الأقليات,مكتبة الأنجلو المصرية,القاهرة,١٩٨٢,ص١٠.

للمزيد يمكن الرجوع إلى:١- برهان غليون,المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات,المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات,بيروت,الطبعة:الرابعة,٢٠١٨.

٢-أنتوني جيدنز,مقدمة نقدية في علم الاجتماع,ترجمة:أحمد زايد-عدلي السمري- محمد محيي الدين- محمد الجوهري- مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية,كلية الآداب,جامعة القاهرة,الطبعة:الثانية,٢٠٠٦,ص٢٢٩.

(٢) سميرة بحر, المدخل لدراسة الأقليات,ص١٠.

(٣) انظر :أدونيس,كلام البدايات,ص٦٣.

الأحرار، بل يقدمهم في كل شيء وعلى كل فرد ينتمي إلى طبقة أخرى، لكن قانون القبيلة ذاته يؤمن برابطة الدم، والدم لا يكون هجيناً؛ بل نقيًا؛ فقد"كانت كل قبيلة تؤمن بوجود رابطة تجمع بين أفرادها على أساس من وحدة الدم ووحدة الجماعة.وفي ظل هذه الرابطة وفي ظل القانون العرفي الذي نشأ على أساسها:انقسم المجتمع القبلي إلى طبقات اجتماعية ثلاث"[1].

وقد يكون الفرد من أفراد القبيلة ابن لأحد أحرارها، لكن أمه أورثته العبودية، فتُخرجه القبيلة من طبقة الأحرار، وتضعه في أدنى طبقة من طبقاتها، وهي:طبقة الأرقاء؛((فإن مقياس الشرف عند العربي ألا يجري في عروقه دم أجنبي.وأن يكون من أب عربي وأم عربية، ومن هنا كان حرصه على أن يحفظ لسلالته نقاء الدم وصفته وامتيازه، وفي سبيل هذا الحرص كان يرفض الاعتراف بأبنائه أو إلحاقهم بنسبه إذا جاءوا ثمرة لصلة غير متكافئة بينه وبين إمائه، ومن أجل ذلك أطلق المجتمع الجاهلي على أبناء الإماء من العرب الصرحاء اسم "الهجناء"، وكان أسوأ أبناء الإماء حظًا في الحياة أبناء الإماء السود الذين سرى إليهم السواد من أمهاتهم وأطلق عليهم العرب اسم"الأغربة"))[2].

لقد وضعت القبيلة هؤلاء (الأغربة) على هامش القبيلة، وعاشوا الذل والهوان، فكانت أقلية مهدرة الحق بين الأكثرية، وهؤلاء (الأغربة) لم يرثوا -فقط- وضاعة النسب من أمهاتهم، التي لا يتهاون فيها العربي، بل يعده شيئًا مقدسًا يحفظ من خلاله كيان قبيلته ونقائها، لكن (الأغربة) ورثوا أيضًا السواد من أمهاتهم، والعربي يمقت هذا اللون ويتشاءم من كل شيء اصطبغ به؛ فقد كان العرب"يبغضون اللون الأسود بقدر ما يحبون اللون الأبيض، وقد وصفوا كل شيء ممدوح عندهم ماديًا أو معنويًا بالبياض،وكان مما يمدح به الرجل أو يفتخر به أنه أبيض،ومن سمات جمال المرأة أن تكون بيضاء،وهو أيضًا دليل على شرفها،فقد كان مما يمدح به الرجل أنه ابن بيضاء،بل إنهم كانوا يفخرون بأن سباياهم من البيض.ومن هنا أطلقوا على هؤلاء السود اسمًا خاصًا تمييزًا لهم من سائر إخوانهم الهجناء،فسموهم((الأغربة)) تشبيهًا لهم بذلك الطائر البغيض المشئوم في لونه الأسود، ونسبوهم في أكثر الحالات إلى أمهاتهم. ويخرج هؤلاء ((الأغربة)) إلى الحياة، وقد وسمتهم الطبيعة بذلك اللون الذي يبغضه مجتمعهم،

(١) أحمد إبراهيم الشريف،مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول،ص٤٢-٤٣.

(٢) أحمد إبراهيم الشريف،مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول،ص٤٩.

والذي لا يد لهم فيه،ولا خروج لهم منه، فإذا هو يحول منذ البدء دون أن يعترف بهم آباؤهم،ثم إذا هو بعد ذلك يقف صخرة تتحطم عليها آمالهم في أن يشاركوا في الحياة الاجتماعية كما يشارك غيرهم، ولا يهيئ لهم إلا فرصة ضيقة للحياة على هامش المجتمع حياة ذليلة محتقرة يخدمون فيها سادتهم، ويقومون لهم بتلك الأعمال الفرعية التي يأنفون هم من القيام بها،أما الأعمال الأساسية فلا يقوم بها إلا أبناء الحرائر"[١].

لقد نقلت الأستقراطية العربية (الأغربة) إلى مصاف العبيد، ويقومون بواجبات هذه الطبقة، كأنهم فرد أصيل منها، ولم يولدوا لأب عربي خالص؛ وكل هذا لأن (الأم) ليست عربية، بل يزاولون المهن التي يقوم بها العبيد، ليقف هؤلاء على حافة/هامش القبيلة مهمّشين.

وقد كان (عنترة) أحد هؤلاء الأغربة،فهو فرد من هذه الأقلية المهمّشة التي عاشت جور المجتمع الطبقي حاكمًا عليها بالخروج من مركز الدائرة إلى حافتها،لأسباب ورثها ولا يد له فيها،وعنترة"ابن لأم تنتمي إلى الطبقة الثالثة من النساء في المجتمع العربي بعد طبقة الحرائر وطبقة السبايا،فالسبية كانت وقفًا على رجل واحد،أما الأمة فكانت شيئًا مشاعًا،ولهذا فإن الاعتراف بابن السبية كان أمرًا طبيعيًا مسلمًا به،بينما كان الاعتراف بأبناء الإماء أمرًا لا يقره العربي ولا يجيزه،ومن واقع هذه النظرة،عاش عنترة حياة تعسة"[٢].

فهو الفارس الشاعر،ويحمل من الصفات التي تميزه عن غيره ما يحمل ،لكن كل هذه الصفات من فروسية/شجاعة/ فصاحة/قوة/عفة،يريد المركز القبلي وأده للونه ونسبه المشوب بدم أمه.

وتدور أحداث مسرحية (عنترة) في بادية نجد،في أحياء عبس وعامر وما بينهما،حوالي منتصف القرن الأول قبل الهجرة."وتجسد المسرحية معاناة عنترة في مواجهة نظام عنصري لا يقر بحرية العبد،ولا يحترم إنسانيته؛ولذلك تتبنى الشخصية الرئيسة في المسرحية/ عنترة،ثقافة النضال ضد غطرسة القبيلة بوصفها سبيلًا ناجعًا لتحقيق التحرر وبناء الذات"[٣].

وتبدأ المسرحية بمناجاة(عنترة):"(الوقت في مطلع الشمس وقد وقف عنترة أمام الخيام باديًا>>><<<عليه النصب والكلال.يسمع نباح كلاب من وراء الخيام)

(١) يوسف خليف,الشعراء الصعاليك,ص١١٠-١١١.

(٢) انظر:عبده بدوي,الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي,الهيئة المصرية العامة للكتاب,القاهرة,١٩٨٨,ص٣٣.

(٣) انظر:يوسف محمود عليمات,النقد النسقي:تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي,ص١١١.

**عنترة: سَلِي الصبح عنِّي كيف يا عبلَ أُصبحُ**

**وأين يَراني نَجْمُهُ حينَ يَلْمَحُ**

**أفي خيْمتِي كالنَّاس أم في بيوتكم**

**أبثُّ الخيام الشوق وهْو مبرِّحُ**

**أُقبِّل أطناب البيوت وربَّما**

**تَلفَّتُ عن مُنْهلَّة الدمعِ تسفَحُ**

**أرى بوقوفي في ديارك راحةً**

**كما يستريح ابن السبيل المطَرَّحُ**

**أبوكِ غريرُ القلب لم يعْرفِ الهوى**

**ولم يدْرِ ما يأسُو القلوبَ ويَجرَحُ**[1]

يتشظى المكان إلى مكانين؛ المكان الأول:أمام الخيام،وهو المكان الذي يقف فيه عنترة والحزن يخيم عليه مناجيًا؛حيث يصف (شوقي) نفسية بطله/عنترة بأنه يبدو عليه النصب والكلال،كأن (عنترة) غير راضٍ عن المكان الذي يقف فيه،وتهفو نفسه وتشتاق إلى مكان آخر؛مكان القبيلة،حيث يرى ذاته مستحقًا له،و يشي أسلوبي الأمر والاستفهام (سلي)،(كيف)،عن عدم رضاه بحاله والكيفية أصبح عليها،وهو بعيد عن مكانهم،ولا يملك إلا الشوق المؤلم الذي يصاحبه منع/رفض القبيلة(أبث الخيام الشوق وهو مبرح).

"ويبدو عنترة كما يظهر في أسلوبي الأمر والاستفهام متمسكًا بفكرة (المكان المقدس) الذي نسبه إلى محبوبته (عبلة) لا إلى القبيلة(عبس)/المركز الطبقي؛ذلك أن صورة القبيلة في خيال (عنترة) تبدو سالبة ومنفرة كونها تؤمن بفكرة الرق،وتقيد حرية الإنسان بفعل استعباده وإقصائه،وتسخير قدراته في سبيل تنفيذ مآربها الغائية،وبالتالي فإن (عبلة) المؤنث،في رؤية عنترة،هي القبيلة المتمناه،والحقيقة المنشودة في إنقاذ (عنترة) من سلسلة الإحباطات ومظاهر الهيمنة التي تهدد حياته في إطار علاقته المأزومة بالقبيلة الأم(عبس)/المركز"[2].(أبوك غرير القلب لم يعرف الهوى/ولم يدر ما يأسو القلوب ويجرح)،ويجعل (شوقي) المكان يشعر بمعاناة (عنترة)،(تلفت عن منهلة الدمع تسفح)،و"المكان يحمل في مضمونه الإشاري خصوصية الهوية والمكانة. فالمكان

(١) أحمد شوقي,الأعمال الكاملة:المسرحيات,الهيئة المصرية العامة للكتاب,١٩٨٤,ص٧.

(٢) انظر: يوسف عليمات,النقد النسقي:تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي,ص١٠٨.

عند عنترة يخضع هو الآخر لمنطق الطبقية والمركزي والهامشي في ثقافة القبيلة/عبس"[1].

فالمكان الذي تهفو إليه نفسه تتشخص فيه الراحة وهي الحالة الشعورية التي تناقض الضيق/القلق الذي يشعر به، (أرى بوقوفي في ديارك راحة)، ولن يحصل عليها إلا بقبول القبيلة له، لكن الواقع الذي يجده:النبذ،ليشعر بأنه في سفر دائم/غريب/عابر سبيل،أنهكه النبذ،واستوطن الضيق نفسه،ويريد الراحة من عناء تصنيفه(كما يستريح ابن السبيل المطرح)،ويجعل شوقي كل شيء حول بطله المنبوذ يشعر بمأساته(الصبح-الليل-النجم-الديار)،لكن المركز الطبقي يأبى الشعور (أبوك غرير القلب لم يعرف الهوى/ولم يدر ما يأسو القلوب ويجرح)؛إنكارًا له.

وفي المنظر الثاني من الفصل الأول، يأتي رجال من بني عامر خاطبين (عبلة):

**آخر: في البيدِ يا مالكٌ قولٌ شائعٌ نُريدُ أن نعلَمَ منكَ خبَرهْ**
**ثمَّ نَخُوضَ في الذي جئْنا له**

**مالك: هاتُوا اسألُوني رَاشدِين بَرَرَهْ**
**ما ذاك؟**

**الضيف: إنّ الناسَ قد تحدّثوا أنّك لن تَرضَى بغيْرِ عنترهْ**

**مالك: صِهْرًا؟**

**الضيف: أَجلْ**

**مالك: مَن قال؟ ذاكَ كذِبٌ أيطمعُ الأسودُ أن أصاهِرهْ؟**

**الضيف:**
**ذلك يا مالكُ ما قلتُ لَهُمْ**
**{ثم يلتفت حوله}**
**لا يسمَعَنَّ ابنُ الإماءِ لا يَرَهْ!**

**آخر:**
**عبلةُ لا تُهدَى إلى ابنِ أَمَةٍ**
**يَرْعى الشُّوَيْهاتِ ويَسْقِي الأبْعِرهْ**

**آخر:**
**أبا عبلةٍ جِئْناكَ نخْطبُ عبلةً**

(١) انظر: المرجع السابق, ص١١٠.

**مالك: لِمَنْ؟**

**الأوّل: لنجيبٍ سيدٍ وابنِ سيِّدِ**

**لأبيَضَ من فتْيان عامِرَ ماجدٍ وليْس لعبدٍ عند شدادَ أسودِ**

**مالك: ما اسمُ الفتَى**

**الأول: صخرٌ مِنْ ولدِ الأشْتَر**

**مالك: وهلْ رأَى عبلةَ؟**

**آخر: ألفَ مرّه وسَمِعَ الحُرُّ حديثَ الحُرّه**[1]

إن الخبر الذي يسوقه (الضيف) على أسماع مالك"إن الناس قد تحدثوا/أنك لن ترضى بغير عنتره" ظاهره أن هؤلاء لا يعرفون حقيقة الأمر ثم جاءوا سائلين/مستنكرين ما يتردد في البيد، لكن حرف التوكيد الذي تكرر مرتين (إنّ النّاس... – أنّك...)على لسان الضيف، يشي بأنه يوقن بصحة ما يقال عن حب عبلة وعنترة، لكن قوله - أيضًا- الذي يفتتح به الحوار مع (مالك) قبل طلب يد (عبلة) ل (صخر) يوحي بأن الذي يتردد عار لحق ب (مالك)، وعليه أن يتبرأ مما يُحكى عنه، فيستنكر (مالك) بثلاث أسئلة متتالية:"صهرًا؟،من قال؟،أيطمع الأسود أن أصاهره؟" ما يقال، وسؤاله الثالث يذيله مستنكرًا بلون (عنترة) الأسود، ويراه طمّاعًا إن أراد ذلك، فطبقة الأحرار ترى أنه ينظر إلى ما ليس من حقه.إن الحوار الذي يدور بين أسياد (عبس) و(عامر) الذين يمثلون المركز القبلي حول زواج عبلة، يُظهر الظلم الذي توقعه القبيلة على هذه الأقلية، ومدى القهر الممارس عليها؛ لقد جاءوا يسلبون فردًا من حقوقه، بوصف لونه ونسبه أخرجاه من زمرة القبيلة إلى هامشها"أيطمع الأسود – لا يسمعن ابن الإماء لا يره – وليس لعبد عند شداد أسود"، ويعطون آخر "لنجيب سيد وابن سيد – لأبيض من فتيان عامر ماجد"، فالمنع والعطاء بين (صخر) و(عنترة) أساسه لون ونسب، فيُنسب (عنترة) في الحوار إلى أمه "ابن الإماء"، وليس إلى (شداد) أبيه، بل هو (عبد) لديه ، وينسب (صخر) إلى بني عامر، و(عنترة) أسود و(صخر) من ذوي البشرة البيضاء، ولأجل هذين السببين تضع القبيلة (صخر) في منزلة الأسياد، لأنه – فقط- سيد ابن سيد،وأمه ليست بأمة، و(عنترة) تكلفه القبيلة برعي شويهاتها وسقي أبعرتها،ويُحرم مما يُعطاه أمثال (صخر) من أبناء الطبقة الأرستقراطية التي نبذت (عنترة) منها:

(١) أحمد شوقي,الأعمال الكاملة:المسرحيات ,ص٤١-٤٢.

**ابن سيد+ابن حرة+ أبيض البشرة= سيد من أسياد القبيلة (صخر)←المركز← الأكثرية← طبقة الأحرار الصرحاء.(الأول).**

**ابن سيد+ابن أمة+أسود البشرة= عبد يرعى الشويهات ويسقي الأبعرة (عنترة)← الهامش←الأقلية← طبقة العبيد. (الثاني).**

فالأول :يمثل الأكثرية (طبقة الأحرار الصرحاء) التي تأخذ حقوقها كاملة،والثاني: يمثل الأقلية (طبقة العبيد) المحتقرة المذَلة في البيد من الأكثرية، التي تحركها من مركز الدائرة إلى الحافة.

**القيم:**

لكل مجتمع ثقافته التي تميزه عن غيره من المجتمعات، فما هو مقبول في مجتمع قد يُحكم عليه بالرفض في مجتمع آخر؛ ف "كل مجتمع يميل إلى إدراك الواقع بطرق متماسكة على نحوٍ أو آخر ويزعم [لنفسه] قيمًا مطردة وشاملة. وتكون هذه القيم أسسها أو مراكزها وغالبًا ما يُنظر إليها بوصفها البنى الراسخة التي تُعَدُّ جزءًا من نظام مغلق. وإذا كان وجود مركز ما أمرًا مفترضًا، فإن طرقًا أخرى لرؤية الواقع والقيم الأخرى ينبغي تجاهلها، أو كبحها أو تهميشها. وفي عبارة أخرى لا يُعدُّ الواقع والقيم عالمية لكنها مشروطة بمنظورات ثقافية واجتماعية، واقتصادية، وسياسية خاصة"[1].

كل مجتمع لديه منظومة من القيم، وثمة قيم يعدها المجتمع مركزًا يُقاس عليه سلوك أفراده، ويَنظر إليها نظرة تبجيل، وما سواها يُعدُّ هامشًا، ويفرض على أفراده التمسك بما يراه مركزًا، ونبذ ما يراه هامشًا، وما يعد من القيم مركزًا في مجتمع قد يكون في نظيره مهمشًا، أو بعبارة أخرى ما هو مستحسن في مجتمع قد يُنظر إليه بالقبح في مجتمع آخر، فهذه القيم ليست عالمية؛ بل تتغير من مجتمع إلى آخر وفق منظوراته الثقافية.

وقد ورد في لسان العرب تحت مادة (ق و م) أن "القيمة: واحدة القيم، وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء. والقيمة: ثمن الشيء بالتقويم. تقول: تقاوَمُوا فيما بينهم، وإذا انقادَ الشيء واستمرّت طريقته فقد استقام لوجهه. ويقال: كم قامت ناقتُك أي كم بلغت.وقد قامت الأمةُ مائةَ دينار أي بلغ قيمتها مائة دينار، وكم قامتْ أمَتُك أي بلغت."[2] "وفي

(١) انظر: إيرينار . مكاريك, موسوعة النظرية الأدبية المعاصرة: مداخل, نقاد, مفاهيم, (٣) مفاهيم, ص٥٦.

(٢) ابن منظور, لسان العرب,المجد: الثاني عشر, ص٥٠٠.

الحديث قالوا يا رسول الله: لو قوَّمْتَ لنا؟فقال:اللهُ هو المقوِّمُ" أي لو سعَّرْتَ لنَا، وهو من قيمة الشيء أي: حدَّدْت لنا قِيمَتَها"[1].

و(القيم) ترتبط بمجالات مختلفة، حيث يوجد تعريف لها في الاقتصاد ولدى المختصين بالموسيقى واللغويين والرياضيات والفلسفة، وكل مجال يعرفها تعريفاً يختلف عن المجال الآخر، حسب ماهيته أو ما يناسبه، فالمفهوم يرتبط بعدد كبير من المجالات ؛ومن ثمَّ من الصعوبة بمكان حصر مصطلح (القيمة) في تعريف محدد.

وتُعرِّف (فايزة أنور شكري) القيم بأنها "أحكام بالمرغوب فيه على حسب معايير الجماعة. فنحن في أحكامنا على الأشياء مقيدون بمعايير المجتمع وبأحكامه التقويمية التي تقدم لنا فنشعر بها ونتمثلها في أثناء تنشئتنا الاجتماعية. ولذلك فمن أهم سمات القيمة أنها معيارية، ويظهر جانبها المعياري بأوضح صورة في العادات والأعراف الاجتماعية..."[2]. وتذكر(سلوى السيد عبد القادر) أن القيم هي:" مجموعة من الأبنية الفكرية المتوارثة اجتماعيًا والتي تتعلق بما يستخدمه وما يملكه وما يفعله الناس، وتنطوي على الاعتقاد فيما هو مرغوب فيه وما هو مرغوب عنه، وتحكم علاقة الإنسان بذاته وبالآخر وتنعكس في السلوك الملاحظ"[3].

يشير التعريفان السابقان إلى أن كل مجتمع له قيم مطردة، هذه القيم لا يفرضها المجتمع على هيئة قوانين مكتوبة على الأشخاص؛ بل يشعر بها الأفراد منذ النشأة، فالمجتمع يصدر أحكامه بالخطأ أوالصواب على كل سلوك، فيكتسب الأفراد هذه القيم، وتصبح عادات وتقاليد سائدة في المجتمع، ويلتزم بها الأفراد، ويتكون لديهم اعتقاد بما يرغب فيه المجتمع من سلوكيات وما يرغب عنه، ومقياس الصواب والخطأ الذي يفرضه المجتمع على السلوك يلتزم به الأفراد تعاملًا فيما بينهم.

والمجتمع القبلي هو المجتمع الذي تسعى الباحثة إلى التغلغل فيه للتعرف على جانب من نسقه القيمي، ومدى التزام أفراده به، ورد فعل مركز القبيلة على المخالفة، وذلك من خلال تحليل مسرحية (مجنون ليلى) لأحمد شوقي.

وفي الفصل الأول من مسرحية (مجنون ليلى) يأتي (قيس) إلى ديار (ليلى) متعلّلًا بافتقاد الحطب في دارهم، فقد أودت به الرياح والضيف والجار، فينادي (المهدي)

(١) الزبيدي, تاج العروس, الجزء: الثالث والثلاثون, تحقيق: إبراهيم التزرزي,المجلس الوطني للثقافة والآداب, الكويت, الطبعة:الأولى, ٢٠٠٠,ص٣١٢.

(٢) انظر:المرجع السابق,ص٢٦٥.

(٣) سلوى السيد عبد القادر, الأنثروبولوجيا والقيم, دار المعرفة الجامعية, الإسكندرية,٢٠١٩ ,ص٢٢.

والد (ليلى) لتقضي له حاجته من الحطب، ويدور بينه وبين (ليلى) حديث، وترى (ليلى) النار تصل إلى (قيس) وهو لا يأبه بها:

**"ليلى: وقد رأت النار تكاد تصل إلى كم قيس"**

**ويحَ عينيَّ ما أرى قيس!**

**"قيس"**

**ليلى**

**"ليلى:مشفقة"**

**خذ الحذر!**

**"قيس غير آبه إلا لما كان فيه من نجوى"**

**رُبَّ فجر سألتُه هل تنفستِ في السحَر**

**ورياح حسِبتُها جرَّرت ذيلَك العطِر**

**وغزالٍ جفُونهُ سرقت عينكِ الحَوَر**

**"ليلى"**

**إطرح النارَ يا فتى أنت غادٍ على خطر**

**لهبُ النار قيسُ في كمك الأيمن انتشر**

**"قيس:مستمرًا بعد أن رمى النار من يديه"**

**وذئابٍ أرقُّ يا ليلَ من أهلِكِ الغُيُر**

**أنست بي ومرّغت في يدي الناب والظفُر**

**"ليلى"**

**ويح قيس تحرقت راحتاه وما شعَرْ**

**"قيس"**

**أنت أججتِ في الحَشا لاعج الشوق فاستعرْ**

**ثم تخشَيْنَ جمرةً تأكلُ الجلد والشعَر**[1]

تشتعل النار في كم (قيس) حرقًا له، لكنه يتركها تحرق ويشكو إلى (ليلى) حاله، فكل شيء في البيد يتشخص ليكون عونًا له في عذابه؛ فالرياح تهب فيظنها آتية له ب(ليلى)، والغزال يتشخص له في صورة (ليلى)، ويسأل الفجر عن حالها في السحر.

(١) المرجع السابق, ص١٣٠.

إنّ (قيس) يشكو لها لوعة الفراق، ثم يجعل (الذئب)/ مركز القبيلة سببًا فيما آل إليه حاله.تنادي (ليلى) على أبيها كي ينقذ (قيس) من النار التي تستعر في جسده:

**"يترنح قيس في موقفه وتظهر عليه بوادر الإعياء"**

**"ليلى"**

**فداك أبي قيس، ماذا دهاك؟ تكلم،أين قيس، ماذا تجد**

**" قيس"**

**أحسُّ بعينيّ قد غامتا وساقيّ لا تحمِلان الجسدْ**

**"يخر صريعًا إلى الأرض فتتلقاه على صدرها صارخة"**

**"ليلى"**

**يا لأبي للجار قيسٌ صريعُ النارْ**

**ملقىً بصَحن الدارْ!**

**"يخرج أبوها من الخباء على صوت استغاثتها"**

**أبي ها أنت ذا جئت أغثنا أبتي أدركْ**

**لقد حُرِّق بالنارِ فما يصحو إذا حُرِّك**

**"المهدي"**

**يرانا الناسُ يا ليلى**

**"ليلى"**

**أبي انْفِ الناسَ من فكرك**

**هنا لا تقعُ العينُ على غيري ولا غيرك**

**ولا يطْلُعُ إنسانٌ على سري ولا سِرك**

**ولا أجدر من قيس بإشفاقك أو برك**

**أبي صدريَ لا يقوى فأسندْه إلى صدرك**

**"المهدي – وهويتلقى عنها جسد قيس ويحاول إنعاشه"**

**رعاك اللهُ يا ليلى وكافاك على صبرك**

**أخاف الناسَ في أمري وأخشى القلبَ في أمرك**

**وكم داريتُ يا ليلى وكم مَهَّدتُ من عذرك**

**ولست الوالدَ القاسي ولا الطامعَ في مهرك**[1]

(١) المرجع السابق, ص١٣١-١٣٢ .

عندما تخور قوى (قيس) بين يدي (ليلى) تستغيث ب (المهدي) أبيها، لكن عندما تناديه وتسأله المساعده تناديه لنجدتها باسم إكرام الجار، "يا لأبي للجار قيسٌ صريع النار" فهي لم تستغث بأبيها باسم (قيس) مجرَّدًا؛ بل جاء نداؤها مصبوغًا بقيمة يبجلها مركز القبيلة، ولا يتوانى في تطبيقها، ف (قيس) دخل الخيام بوصفه جارًا نفد لديه الحطب، كأنّ إضافة كلمة (الجار) لاستغاثتها جاءت نتيجة يقين لديها بأنّ اسم (قيس) بمفرده ليس كفيلًا بأن يهبَّ الأب لنجدته، وقد قال في ابنته ما قال، فدخوله للخيام: إكرام للجار، وليس بوصفه (قيس) الذي شبب ب (ليلى)، فقيمة (الكرم) تقدم على حكم المركز القبلي بنبذه، لكن عندما يخرج (المهدي) وقد وجد(قيس) قد خرَّ صريعًا يحتاج إلى نجدته، يتردد (المهدي) في إجابة نداء (ليلى)، فقد تغيرت صفة (قيس) في هذه اللحظة من الحوار من (جار) يطلب حاجة/الحطب إلى (جريح)، فيتحول على إثر تحول شخصية (قيس) المسار في موقف (المهدي) منه، ويعلو لديه الحكم الجمعي على (قيس) بالتهميش "يرانا الناس يا ليلى"، وفي رد فعل (المهدي) في الحالتين يظهر التفاضل بين القيم، ومكانتها في نسق القبيلة القيمي تقديمًا؛ ففي حالته الأولى ك (جار) يطلب حاجة، يتغاضى (المهدي) عن فعلته مقدمًا قيمة (الكرم)، لكن في حالته الثانية يتوارى تبجيل قيمة (الكرم)، ويأخذ المهدي بحكم القبيلة على (قيس)، مقدمًا قيمة (العفة)، ومعليًا من شأن التقاليد، كأن مركز القبيلة يحكم على (قيس) في حالته هذه بالترك حتى الموت، جزاء خرق نسقه القيمي، فالمهدي عندما أدخل (قيس) بوصفه جارًا لم يكن على علم بمكوثه، وما ستؤول إليه حاله، فالمنطقي أنه لن يستغرق الكثير من الوقت وسيمضي، ومن ثمّ لن يراه أحد، أما أنّ يراه الناس يطببه وقد فعل ما فعل بابنته، فسيجلب عليه عارًا إلى عاره، لكنّ (ليلى) تطمئن الأب بعدم رؤية الناس لنجدتهم له، وأنه سر لن يطلع عليه سواهما"هنا لا تقع العين/ على غيري ولاغيرك/ولا يطلع إنسان/ على سري ولا سرك"، فيلبي (المهدي) استغاثة ابنته من أجلها وليس من أجل (قيس) بعد طمأنتها له بأن أحدًا من الناس لن يراهم، و(المهدي) ينفي عن نفسه القسوة أو أنه يطمع في مهر ابنته، فلا يعطيها ل (قيس) ، وينتظر خاطبًا غيره؛ فيؤكد لابنته أنه في صراع بين شيئين: (الناس)/مركز القبيلة و(قلب ليلى)/ما تميل إليه ليلى في جوانيتها، فالأب على يقين بما تريد (ليلى) وأنها تميل إلى تلبية ما يمليه القلب، لكنه يعمل بقوانين/أنساق القبيلة القيمية؛ ف (العار= الحياد عن نسق القبيلة القيمي).

**"يتحرك قيس ويبدو عليه كأنما يفيق فيناديه"**

قيس: "يحاول الوقوف فتسنده ليلى"

لبّيك عمّ

"المهدي"

حسبُك فاذهبْ لا تطأ لي بعد العشّيةِ دارا

"ليلى"

أبتي لا تجُرْ على قيسَ

"المهدي"

لم لا إن قيسًا على القرابةِ جارا

"ليلى"

أبتي أما تراه كالفَنن النا وي تحولًا وكالمغيب اصفرارا؟

وتأملْ رداءه ويديْه تجد النار أو تر الآثارا

أبتي دعْه يسترحْ

"المهدي"

بل دعينا لا تزيدي يا ليلى سُخطي انفجارا

"قيس"

حسبُ يا ليلَ، حسبُ ذلًا لعمي وكفى حِلفةً له واعتذارا

عمُّ ماذا جنيت؟

"ليلى"

ماذا جنى قيس

"المهدي"

نسيتِ الرُّواةَ والأخبارا

"قيس"

إنهم يأفكون يا عمِّ

"المهدي"

والغَيلُ أليلًا غَشِيتَه أم نهارا؟

ما الذي كان ليلةَ الغَيْل حتى قلتَ فيها النّسيبَ والأشعارا؟

"قيس"

لم تكنْ وحدَها ولا كنتُ وحدي

**إنما نحن فِتية وَعذارى**

**جمعتْنا خمائلُ الغيل بالليل كما يجمعُ الحمى السُّمّارا**
**ليسَ غيرَ السلامِ ثمَّ افترَقنا ذهبتْ يَمنةً وسِرتُ يسارا**

**"المهدي"**

**إمض يا قيس لا تكسُ ليلى كلَّ حين فضيحةً وشنارا**
**فكأني بقصة النار تُروى وكأني بذلك الشعر سارا**
**وكأني ارتديتُ في الحي ذلا وتجللتُ في القبائل عارا**
**إمض قيسُ إمض**[1]

يتكرر فعل الأمر في الحوار الذي يدور بين ثلاثتهم من قبل (المهدي) بطرد (قيس) بعد صحوته ست مرات ( فاذهب – لا تطأ - لا تكس – امض (ثلاث مرات)؛ رغبةً من (المهدي) بإبعاد (قيس) عن داره، فهو في القبيلة منبوذ؛ بسبب ما قال في ابنته، فكيف يدخل داره؟!، وعندما تستعطف (ليلى) (المهدي) أن يتركه يستريح باسم القرابة يُصرُّ على موقفه مُشخِّصًا القرابة وقد جار عليها (قيس) بتشبيبه، وجسد (الذل - الفضيحة) فجعل الأول ثوبًا كساه به (قيس)، وكسى (ليلى) بالثاني، ويحصر (المهدي) غضبه وهو غضب مركز القبيلة في ((الكلام)) الذي قيل في حق (ليلى)" نسيتِ الرواة والأخبارا"، فيدافع (قيس) عن نفسه بأنه كلام مفترى عليه، فيذكر له (المهدي) ليلة الغيل، لتهدم دفاع (قيس) عن نفسه، وغضب (المهدي) يشي بأن (قيس) قد حكى عن هذه الليلة في شعره أفعالاً مشينة نسبها لابنته، ويخشى (المهدي) أن يقول (قيس) في هذه الليلة - أيضًا- أشعارًا، فيشيع في البيد ما يحاول (المهدي) إخفاءه. إن تهميش (قيس) وسلبه من صلة القرابة بينه وبين عمه يكمن في الغزل الذي يقوله في (ليلى)، فالحوار يُظهر التقاليد المتعارف عليها/النسق القيمي للقبيلة، وفعل (قيس) والحكم الصادر من مركز القبيلة في حقه؛ عقابًا له على التعدي على قيمه، ويمكن تمثيل هذه العناصر بالآتي:

**لا يقال النسيب/الغزل في فتاة من فتيات القبيلة= تبجيل قيمة العفة من قبل مركز القبيلة←(١).**

**شبّبَ قيس ب (ليلى) وقال فيها الغزل= تهميش (قيس) لقيمة العفة المركزية في البيد←(٢).**

(١) المرجع السابق, ص١٣٢-١٣٤.

**تهميش (قيس) بسلبه القرابة، وما يُبنى عليها من نجدة وإكرم له، وطرده من القبيلة، وحرمانه من (ليلى)= حكم المركز على (قيس) المخالف للنسق القيمي للقبيلة← (نتيجة).**

إذن ثمة قيمة مركزية هي:(العفة)، وكلام (قيس) في (ليلى) ليلة الغيل هدم لها، وثمة مركزقبلي يتبنى القيمة التي هدمها، فيقع التهميش على (قيس) من قبل المركز بالطرد والحرمان.

**الخاتمة**

توصلت الباحثة من دراساتها تلك إلى عدد من النتائج يمكن إجمالها على النحو التالي:

١- قد يهمّش الفرد بأكثر من طريقة، وقد يغدو مركزًا في شيء، ويفقد مركزيته في شيء آخر، فالأسود في مجتمع قائم على التفرقة العنصرية قد يكون ثريًا/ابن سيِّد، لكنّه يفقد هذه المركزية عندما يحكم عليه مجتمعه بالحرمان من تبوُّء مركز سياسي لسواد لونه، علاوة على نظرة المجتمع المتدنية، وقد يُحرم المهمّش اقتصاديًا من كل شيء، فيشكل افتقاده للمال بعدًا تعديميًا.

٢- لا يرتبط التهميش بعدد؛ بمعنى أنه قد توجد أكثرية وأقلية في المجتمع، وتهمّش الأكثرية، وتغدو الأقلية مركزًا، ويُمَثَّل لذلك بالسود الذين يمثلون أكثرية في جنوب أفريقيا، لكنّها مهمّشة، والأقلية البيضاء مركز، ومن ثمّ؛ فالعدد ليس مقياسًا للتهميش.

٣- كشفت الدراسة عن مآل البطل عندما خالف السائد المتعارف عليه؛ فهو يحاول الثورة على أنساق ثقافية قارة في مجتمعه، فينتقل من الرضا عليه إلى السخط، ويُمارَس عليه القهر والاضطهاد، وتُحاول القبيلة قتله، ليكون عبرة لمن يرغب في إزالة الفارق بين الطبقات، أو الانتقال من طبقة وضعته فيها إلى طبقة أعلى، لكنَّ عنترة ينتصر في نهاية المسرحية تحت أسنَّة الرماح، ويستمر غضب المركز القبلى عليه.

٤- الأقليات في المجتمعات ليست أقلية واحدة؛بل أقليات مختلفة،وكل مجتمع له سياساته وأوضاعه التي تخصه دون مجتمع آخر،بل قد تجد أقلية دينية في مجتمع تُعامل بكيفية معينة،وهذه الأقلية ذاتها قد توجد في مجتمع آخر وتعامل بشكل مغاير لقرينتها في ذلك المجتمع،وقد تحصل على حقوقها في مجتمع وتُسْلبُها في مجتمع آخر،وقد تكون الأقلية في المجتمع هي التي تدير زمام الأمر فيه،وقد تكون مقهورة /مهمّشة في مجتمع آخر؛إذن فلا يوجد تعريف واحد لمصطلح(الأقلية)،بل يختلف من مجتمع إلى آخر.والأمر يُطبَّق على مدى تهميش الأقلية من عدمه.

٥- ينقسم المجتمع القبلي إلى ثلاث طبقات،تتفاوت فيما بينها في الحقوق والمنزلة، والطبقة التي تتبوَّأ أعلى منازل السلم الاجتماعي هي: طبقة الأحرار الصرحاء، تليها طبقة الموالي، ثمَّ العبيد.

٦- قد يكون الفرد من أفراد القبيلة ابن لأحد أحرارها، لكن أمَّه أورثته العبودية،فتُخرجه القبيلة من طبقة الأحرار،وتضعه في أدنى طبقة من طبقاتها،وهي:طبقة الأرقاء.

٧- نقلت الأستقراطية العربية (الأغربة) إلى مصاف العبيد،ويقومون بواجبات هذه الطبقة،كأنهم فرد أصيل منها،ولم يولد لأب عربي خالص؛وكل هذا لأن (الأم) ليست عربية،بل يزاولون المهن التي يقوم بها العبيد.

٨- وجد هؤلاء الأغربة في مجتمع طبقي قائم على العنصرية، يبغض اللون الأسود وقد ورثه هؤلاء، ويُقدِّس رابطة الدم، وقد حرموا من صفاء النسب، ليعيشوا مأساة حقيقية في مجتمع يضعهم على حافته نابذاً لهم.

٩- تتجلى في مسرحية (مجنون ليلى) لأحمد شوقي قيمة مركزية هي:(العفة)، وكلام (قيس) في (ليلى) ليلة الغيل هدم لها، وثمة مركزقبلي يتبنى القيمة التي هدمها، فيقع التهميش على (قيس) من قبل المركز بالطرد والحرمان.

**المصادر والمراجع:**

**أولًا: مصادر الدراسة:**

(١)أحمد شوقي،الأعمال الكاملة:المسرحيات،الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٨٤.

**ثانيًا: المراجع العربية:**

(١)ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت .

(٢)أحمد إبراهيم الشريف،مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول،دار الفكر العربي،القاهرة.

(٣)أدونيس،كلام البدايات،دار الآداب،بيروت،الطبعة:الأولى،١٩٨٩م.

(٤)الزبيدي، تاج العروس، الجزء: الثالث والثلاثون، تحقيق: إبراهيم الترزي،المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، الطبعة:الأولى، ٢٠٠٠م.

(٥)سلوى السيد عبد القادر، الأنثروبولوجيا والقيم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،٢٠١٩م.

(٦)سميرة بحر،المدخل لدراسة الأقليات،مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة،١٩٨٢م.

(٧)عبده بدوي،الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،١٩٨٨م.

(٨)يوسف خليف،الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي،دار المعارف،القاهرة.

(٩)يوسف محمود عليمات، النقد النسقي، تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، الطبعة: الأولى، ٢٠١٥م.

**ثالثًا: المراجع الأجنبية:**

**(١)** إيرينار. مكاريك ، موسوعة النظرية الأدبية المعاصرة : مداخل ، نقاد ، مفاهيم ، (٣) مفاهيم ، ترجمة : حسن البنا عز الدين ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ٢٠١٧م.